

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في  
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

# لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في  
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

## المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البيئة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصرين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قال الفخر الرازي: "كَانَ عمر بن الحسام يقرأ كتاب المجسطي على عمر الأبهري فقال لهما بعض الفقهاء يوماً: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فقال الأبهري أفسر قوله تعالى {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها} فأنا أفسر كيفية بنائها، ولقد صدق الأبهري فيما قال؛ فإن كل من كان أكثر توغلاً في بحار المخلوقات كان أكثر علماً بجلال الله تعالى وعظمته"<sup>١</sup>، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م<sup>٢</sup>، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتصلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يوضح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٣٨ و٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



<sup>١</sup> فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

<sup>٢</sup> موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ  
اللَّهِ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾  
٢٧ النمل: ٨٨.

### الفقرة Paragraph

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَاخِرِينَ. وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً  
وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ. مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ  
أَمْنُونَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٨٧-٩٠.

### كلمات إرشادية keywords

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

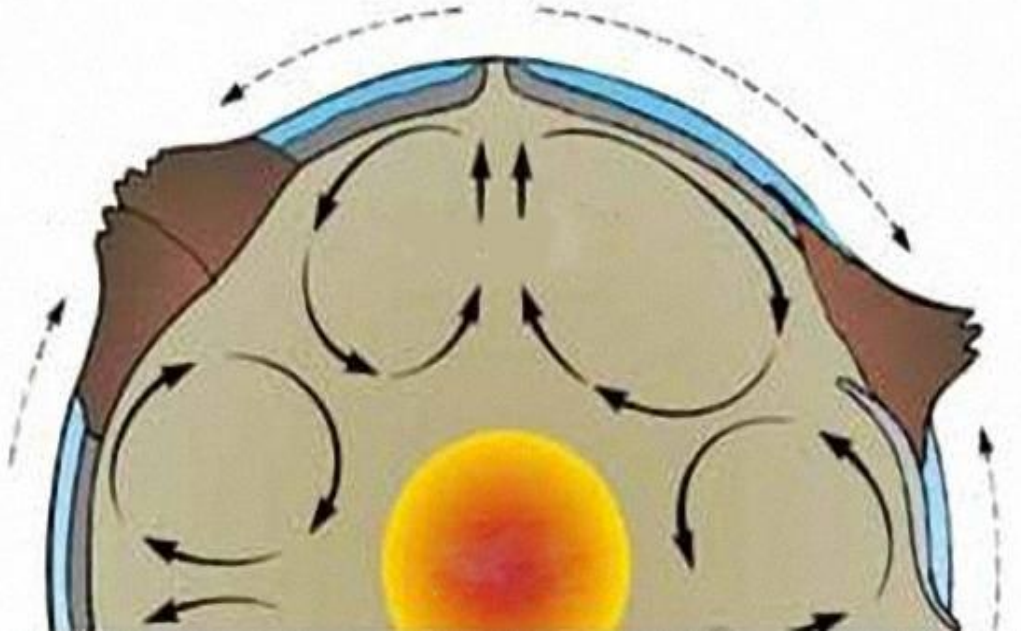
### ترجمة (تفسيرية) Translation

**You see the mountains and think them** (statically) **stable, but really they are** (dynamically) **passing** (with tectonic plates; carried by the mantle currents), **like the cloud passing** (carried by the air currents).  
(This is) **The Work of Allah Who perfected all things, verily He is fully Cognizant with what you do.**



# لَمَحَاتُ بَيَانِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ

## Eloquent & Scientific Hints



وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ  
مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨؛ اجتهد البعض من الأعلام الأجلاء فحملوا الدلالة على المستقبل البعيد حين تدمير العالم استعداداً للقيامة وحساب الناس على ما فعلوا، وتردد البعض لأن السياق لا يساعد، وجزم آخرون فقالوا أن الجبال تتحرك حقيقة؛ وإن كان بخلاف ما يشاهدون لأنه قول الحق الناطق بالصدق، وأنزل البعض حركة الجبال على حركة كوكب الأرض؛ باعتبار الجبال جزءاً منه، ولكن حركة الأجسام نسبية؛ والغلاف الهوائي المُمَيِّز بالسحاب تابع للكوكب؛ وكذلك الغلاف الصخري المُمَيِّز بالجبال، وإذا تحرك الكوكب تحركاً معه، فلا يمكن وصف حركة جزء إلا بالنسبة لآخر يُعتبر ثابتاً، ولا تصح نسبة حركة طبقة الجبال إلى الكوكب وهي تتحرك معه، والقرآن الكريم صريح في أن طبقة الجبال التي خلقت لاحقاً تهيئةً للكوكب فوقه؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ مِّنْ فَوْقِهَا﴾ ١٠، ١٠؛ وإنما تُنسب حركة الغلاف الصخري المُمَيِّز بالجبال إلى ما دونه؛ كما تُنسب حركة السحاب إلى طبقة الغلاف الصخري دونها، والمعنى إذن المُصَاغ بتلطف لا يلفت عن غرض؛ بيان قدرة الله تعالى والعلم بما خلق؛ إيداناً بيوم الحساب على ما فعل من خلق، وأن كوكب الأرض طبقات؛ والجبال العظام تحملها تيارات باطنية وتُحَرِّكُهَا ببطء، كما تحمل تيارات الهواء السحاب وتُحَرِّكُهَا ببطء.



الشيخ محمد جمال الدين القاسمي  
(دمشق؛ توفي سنة ١٩١٤)

قال القاسمي: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ قالوا المراد بهذه الآية تسيير الجبال.. يوم القيامة (ولكن) لا يمكن أن يكون المراد بهذه الآية ما قالوه لعدة وجوه: أن قوله ﴿وترى﴾ لا يناسب مقام التهويل والتخويف، وكذلك قوله ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإهلاك والإبادة، وهذه الآية صريحة في إرادة الحال؛ (لأن) خراب العالم لا يراه البشر، وإذا رآه أحد شعر به وهذا ينافي ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾؛ أما في الدنيا فلا نشعر بحركة الجبال لأننا نتحرك معها، وهذه الآية في سياق آية ﴿لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾؛ اعتراض في تضاعيف أهوال القيامة، والمراد بهما نكر شيء من دلائل قدرة الله تعالى المشاهدة آثارها في هذا العالم الآن ليكون ذلك دليلاً على قدرته على البعث؛ ولذلك ختم هذه الآية بقوله ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فنذكر هذه الأشياء في هذا السياق كذكر الدليل مع المدلول؛ أو الحجة مع الدعوى، فهذه الآية صريحة؛ وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن مُتعاهد النظام، حيث هو نقض وإهدام وليس صنع وإحكام، وهذا المرور؛ وإن لم يكن مُبصراً محسوساً، لكنه معجزة للنبي ﷺ؛ إذ لم يُخبر به غيره من الأنبياء"<sup>٣</sup>.

<sup>٣</sup> محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (٢٠١٧م).



الشيخ محمد الطاهر بن عاشور  
(تونس: ١٨٧٩-١٩٧٢)

وقال ابن عاشور: "بَوْتَرَى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل: ٨٨؛ هذه الآية معترضة من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد، ومر الجبال غير (السير) الذي في قوله تعالى: (ويوم نسير الجبال)؛ وقت اختلال نظام العالم، و(صنع الله) اعتباراً بحالة نظامها المألوف، وفي مادة صنع معنى التركيب والإيجاد، والإتقان إجادة؛ والهدم لا يحتاج إلى إتقان، و(الذي أتقن كل شيء) تعميم؛ أي هو صنع عجيب مُمَاتِلٌ لأمثاله من الصناعات الإلهية، وهذا يقتضي أن مر الجبال من نوع التكوين واستدامة النظام؛ وليس من نوع الخرم والتفكيك، وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان وجه تشبيه سير الجبال بسير السحاب، وفي هذا استدعاء لأهل العلم، فهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يُدركها أهل العلم، وخص الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ادخار لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة؛ إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حينئذ، حتى إذا كشف العلم عنه من نقابه؛ وجد أهل القرآن ذلك حقاً في كتابه، فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه"<sup>٤</sup>.

<sup>٤</sup> محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢٠١٠).



الشيخ عبد الكريم محمود يونس الخطيب  
(مصر؛ ١٩١٠-١٩٨٥)

وقال الخطيب: "﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨؛ هو استعراض لبعض مظاهر قدرة الله وحكمته وتدبيره في خلقه، فهذه الجبال التي يراها الرائي فيحسبها جامدة هي في الواقع على غير هذا الظاهر؛ إنها تتحرك في انتظام كما يمر السحاب، حقيقة لا تُرى بالعين، والتعبير (صُنْعَ اللَّهِ) فيه دعوة إلى البحث عن هذه الحقيقة؛ حقيقة كامنة تشهد بجلال الله، ولا تتكشف إلا بالعلم؛ والنظر إلى ما خلف صفحة هذا الوجود من نظام، نظراً يملأ القلوب روعةً وخشوعاً ورهبةً، والتعبير (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) تقرير لتأكيد روعة الصنعة وإحكامها (بنظم مُقدرة بقصد)؛ وهذا لا يكون واقعاً يوم القيامة؛ والجبال قد تناثرت أشلاء"°.

° عبد الكريم يونس الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي بالقاهرة (٢٩٧١٠).



الشيخ محمد متولي الشعراوي  
(مصر؛ ١٩١١-١٩٩٨)

وقال الشعراوي: "**﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** النمل: ٨٨؛ البعض فهم الآية على أن مرَّ السحاب سيكون في الآخرة، وقد جانبه الصواب، لأنها ستفتت وتتناثر؛ لا أنها تمر، والكلام هنا مبنيٌّ على الظن **﴿تَحْسَبُهَا﴾** وليس في القيامة ظن؛ إذا قامت أحداثها مُتَيْقِنَةً، ومن الأدلة التي تُثبت صحة ما نميل إليه في معنى حركة الجبال؛ أن قوله تعالى: **﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**؛ امتنان من الله تعالى بصنْعته، والله (تعالى) لا يمتنُّ بصنْعته يوم القيامة؛ إنما الامتنان علينا الآن ونحن في الدنيا (ببيان دلائل قدرته وعلمه بخفايا خلقه)، ونفهم من هذا القول الكريم أن حركة الجبال ليست ذاتيةً كما يتحرك السحاب تبعاً لحركة الرياح"<sup>٦</sup>.

<sup>٦</sup> محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم؛ ١٩٩٧م (١٠٨٥٨/١١٧).

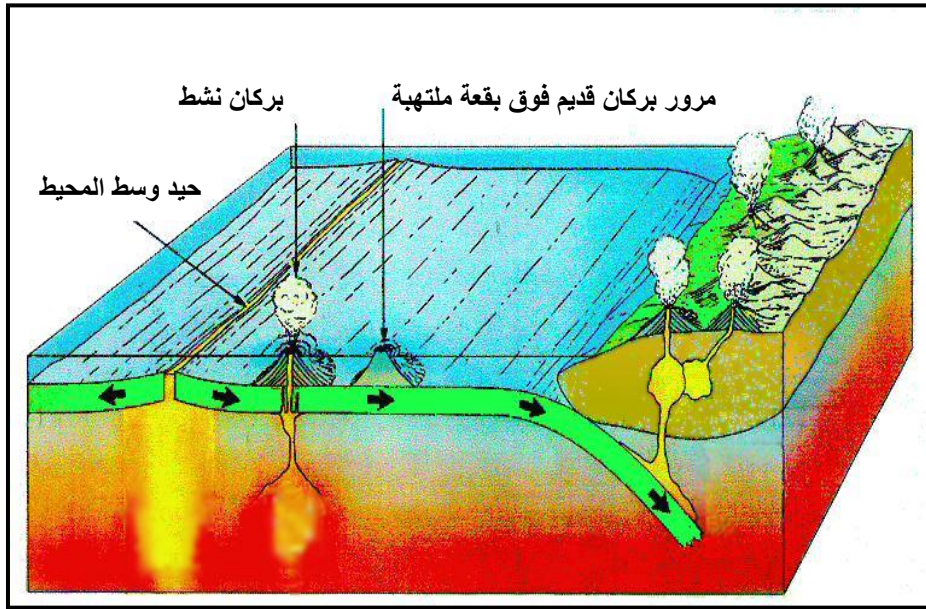
وفي بداية القرن التاسع عشر لاحظ جورج إفرست George Everest أن قوة الجذب المُقاسة بميل البندول في جبال الهيمالايا بالهند أكبر من المُفترض بكثير، ولم يُعرف حينذاك السبب ولذا سميت الظاهرة المحيرة لغز الهند Puzzle of India، وفي عام ١٨٥٥ استبعد جورج إيرى George Airy أن تكون الجبال مُثبتة على طبقة صلبة تحتها، فَمَهَّدَ للاستنتاج بأنها تطفو بالألواح القارية Plate Tectonics كالسفن، حيث تمتد جذورها عميقًا



في بحر من الصخور الحارة اللينة الأعلى كثافة؛ كرواسي السفن قديما، وهي صخور كبيرة ممتدة عميقا تربطها حبال بجانبي السفينة لتثبيتها حتى لا تميد وتضطرب، فالدور الرئيسي إذن الذي تؤديه الجبال هو تثبيت ألواح الغلاف الصخري لا كوكب الأرض ذاته؛ والمعلوم أن لفظ (الأرض) في القرآن الكريم يأتي بدلالات متباينة يُحددها السياق كالكوكب والتربة والبلد، وقد يعني الغلاف الصخري المميز بالجبال أو ما يصطلح عليه في علوم الأرض Geology باسم الألواح القارية؛ وهو المعنى اللائق بجعل الجبال أوتادا تثبت الأرض في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾

النبا: ٧٦، وقد شاغب المُتربصون وقالوا أن القرآن يصرح بثبات كوكب الأرض عن الحركة حول نفسه وحول الشمس في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ قَرَارًا وَنَجْعَلِ خِلَالَهَا أَثَارًا وَنَجْعَلِ لَهَا رَوَاسِي﴾ النمل: ٦١، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ غافر: ٦٤، وغفلوا عن تعدد دلالة لفظ (الأرض) بحسب قرائن السياق؛ وأنها لا تعني بالضرورة الكوكب، فلفظ (الأرض) في قوله تعالى: ﴿بِقَرَّةٍ لَا ذَلُولٍ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ البقرة: ٧١؛ في سياق يتعلق بوصف بقرة تثير الغبار أثناء أعمال الزراعة كالحرث وإدارة ساقية الماء يستقيم حملها على التربة لا الكوكب، ويستقيم حمل لفظ (الأرض) على الغلاف الصخري لا الكوكب؛ في سياق يتعلق بتمهيد غلافًا يحمي من الأخطار دونه بقرينة التمثيل بالبساط والمهاد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ نوح: ١٩، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبا: ٧٦؛ خاصة مع التمثيل بالرواسي في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النحل: ١٥ ولقمان: ١٠؛ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الأنبياء: ٣١، فالسفن الطافية كانت تُلقى رواسيها الصخرية لئلا تميد فوق التيارات دونها، وهو نفس دور الجبال فوق تيارات عاتية دونها وفق صريح التعبير: ﴿أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ الملك: ١٦، وتتحرك الألواح القارية ببطء ومعها الجبال، تندفعها تيارات الباطن؛ تمامًا كما تدفع تيارات الرياح السحاب ليتحرك ببطء، ولا تفسير سوى الوحي لأوصاف القرآن الكريم تلك للغلاف الصخري؛ وحركة قطعه المتجاورات التي تلتقي مع المعارف التي لم يدركها بشر سوى اليوم.

فالنبا: ﴿يُوتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨، بيان مُستقل كآية على العلم بخفايا التكوين والقدرة الفارقة يهدد العاصين بتحريك أسباب خفيه مقدمة لكوارث ليلحقهم خزي العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وتجلت القدرة والعلم في بيان أن الجبال العظام التي تبدو في النظر جامدة تتحرك في الحقيقة حركة بطيئة لا تحظها عين وتمر بالنسبة لما دونها كما يمر السحاب ببطء شديد بالنسبة لسطح الأرض؛ كما يلاحظه النظر لفترة كافية تتحقق فيها حركته، ويتضمن التشبيه الحركة بألية واحدة، فكما تحرك السحاب تيارات حمل ودفع تتحرك كتل الجبال كذلك بتيارات دونها، وجاء التعبير ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ متضمنًا التهديد للعاصين في الدنيا قبل الآخرة جاعلا حركة كتل الجبال أو ما يسمى بالصفائح القارية الطافية فوق شبه الصهير في الباطن سببا في وقوع كوارث؛ سابقا علم الجيولوجيا بأكثر من ألف عام في المعرفة بأن سبب الزلازل والبراكين حركة تيارات الباطن وتحرك الألواح القارية، وجاء التعبير ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بيانا لمشيئته تعالى النافذة وقدرته الفارقة؛ مؤكدا العلم بخفايا التكوين في الدنيا.



مرور الجبال كمعلم بارز للألواح القارية التي تمر على الدوام فوق الطبقة اللدنة دونها.

والآية الكريمة تعني أن الجبال ليست بجمادة الحركة كما يحسبها القاطنون على سطح الأرض ويستخدمونها علامات جغرافية؛ وإنما تمر مروراً يكاد ألا يدرك كما يمر السحاب بطيئاً في النظر، ويتفق هذا مع المعرفة الحديثة بحركة الجبال بالنسبة لما تحتها والمشبّهة في الآية الكريمة بحركة السحاب بالنسبة لسطح الأرض، وتسمى تلك الحركة البطيئة بحركة الألواح القارية Plate tectonics، ويتضمن هذا التشبيه الدقيق جملة من وجوه الشبه عدا الحركة البطيئة، فإن تيارات الحمل من الرياح هي التي تحمل وتنقل السحب كقطع متجاورة، وكذلك تحمل تيارات الحمل من دوامات الصهير تحت القشرة وتحرك القطع المتجاورات أو الألواح القارية المميزة بالجبال، وبوسع العلماء الآن إدراك تحرك الجبال بقياس المسافة الأفقية بين نقطتين على جبلين ثم قياس نفس المسافة على فترات متطاولة كما يدرك مرور السحاب بالنظرة المتطاولة لا الخاطفة، وبهذه الطريقة اكتشف تزايد المسافة بانتظام منذ أوائل السبعينات مع شيوع نظرية ألواح الغلاف الصخري في عام ١٩٦٢، فالجبال على جانبي البحر الأحمر على سبيل المثال تتحرك بمعدل سنوي يتراوح من ٢ - ٦ سم، وذلك نتيجة اتساع قاع البحر الأحمر من منتصفه، وقد فهم المفسرون هذه الآية الكريمة على أنها من علامات الساعة باعتبار أن سير الجبال من علاماتها، وتلك الآية تقع بين آيتين تتحدثان عن يوم القيامة، ولكنها تخبر عن واقع معين؛ جبال قائمة يحسبها المرء جامدة لا تتحرك، بينما جبال الآخرة ليست قائمة أصلاً كي يصح أن توصف بأن المرء يحسبها جامدة وهي لا توصف بفعل يفيد الظن لأن حركتها يقينية، وقد صفت في الآخرة بأوصاف لا تحتمل التأويل تدل على خرابها مثل العهن منفوش، وهذا لا يعيب المفسرين في شيء فإن المعرفة الحديثة بحركة الجبال على خلاف المشاهد لم تكن لتخطر على بال أحد إلا أن تكون وحياً من الله تعالى تأييداً للنبي الخاتم؛ الذي لا ينطق عن الهوى.

وهكذا تحقق ما وَعَدْنَا به الحق تبارك وتعالى بأن في القرآن الكريم أنباء ستوضح معانيها في مستقبل الأيام كآيات تثبت كل حين أنه الحق للعالمين؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، وقوله تعالى: ﴿كُلِّ نَبِيًّا مُّسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ النمل: ٩٣، إذن من القرآن ما يَحَارُ في دلالاته الأولون ويفسره الزمان؛ حتى يستقر في الأذهان، ولم تكن البيئة العربية مؤهلة لِخَاطَبِ بعلم الكون؛ وإن كانوا أبلغ فصحاء عصرهم، ونصيب اللاحقين إذن يتعلق بكشف أسرار الكون قبل أن تنكشف للناس؛ وفق ما يُفِيدُهُ صريحاً قوله تعالى: ﴿سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣.



## قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

### Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} أي واقفة، {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} أي لا يرى سيرها لبعدها أطرافها كما لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعده أطرافه، وهذا مثل؛ وفيه ضرب له ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للذي يظن الناظر إليها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب؛ قاله سهل بن عبد الله، الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان؛ تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى السماء، الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح تسيير إلى القدس، {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} أي فعل الله الذي أتقن كل شيء، وفيه أربعة أوجه؛ أحدها: أحكم كل شيء؛ قاله ابن عباس، الثاني: أحصى؛ قاله مجاهد، الثالث: أحسن؛ قاله السدي، الرابع: أوثق، واختلف فيها فقال الضحاك: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذة من إتقان الشيء إذا أحكم وأوثق، وأصلها من التقن وهو ما ثقل من الحوض من طينه"<sup>٧</sup>.

وفي تفسير مجمع البحوث: "{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}" نقل القرطبي عن الإمام القشيري أنه قال: وهذا يوم القيامة، ثم قال: أي: تمر مر السحاب، حتى لا يبق منها شيء: {وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا}.. ونحن نوافق على ذلك مراعاة للسياق، وإلى هذا الرأي مال صاحب إرشاد العقل السليم فقد قال: إنه مما يقع بعد النفخة الثانية كالفرع المذكور عند حشر الخلق، يبذل الله تعالى شأنه الأرض غير الأرض ويغير هينتها، ويسير الجبال عن مقارها على ما نكر من الهيئة الهائلة يشاهدها أهل المحشر، وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى، لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا. لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ}، وقوله سبحانه: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} فإن اتباع الداعي الذي هو إسرائيل، وبروز الخلق الله تعالى لا يكون إلا عند النفخة الثانية. ونقل الألوسي عن بعض المفسرين أن ذلك مما يقع عند النفخة الأولى، وعقب عليه بما يرجح كونه بعد النفخة الثانية، والله تعالى أعلم، ويعقب الله ذلك التغيير الكوني الخطير بقوله سبحانه: {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} أي: ما تقدم من النفخ في الصور وما ترتب عليه من فزع أهل السموات والأرض إلا من شاء، ومجيء الخلائق جميعاً تلبية لنداء البعث والحشر، وتحويل الجبال إلى ما يشبه العهن المنفوش، ومرورها مر السحاب في طريقها إلى الزوال، كل ذلك صنعه الله الذي أتقن كل شيء، وبناء على الحكم المستتبعة للغايات الجليئة، وليس ذلك من باب الإخلال والإفساد دون حكمة. وقد ختمت الآية بقوله تعالى: {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} وهو تعليل لما تقدم من النفخ في الصور وفزع أهل السموات والأرض ومجيئهم إليه صاغرين للحساب، وقد اعترض بينهما بذكر تحويل الجبال إلى عهن منفوش يسير سیر السحاب في طريقه إلى الزوال بعد أن كانت جامدة، توفية لمقام الحديث عن الأحوال التي تحيط بيوم الحساب والجزاء وقال العلامة الطيبي: قوله: {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} إلخ؛ استئناف وقع جواباً لقول من يسأل فماذا يكون بعد هذه القوارع؟ فقيل: إن الله خبير بعمل العاملين، فيجازيهم على أعمالهم"<sup>٨</sup>.



<sup>٧</sup> الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٤/ ٢٣٠).

<sup>٨</sup> مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى؛ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (١٧/ ١٧٢٣).

## الحقل العلمي Scientific Field

Geology

علوم الأرض

## الموضوع Subject

Tectonic Plates

الألواح القارية

## نصوص متعلّقة Related Texts

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ النَّمْرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوجِينَ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٌ مِنْ أُعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنَّوَانٌ وَغَيْرُ صُنَّوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٣ الرعد: ٤٠ و٤١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ١٥ الحجر: ٢٠ و٢١.
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٦ النحل: ١٥.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ﴾ ٢٠ طه: ٥٣ و٥٤.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ ٢١ الأنبياء: ٣١ و٣٢.
- ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٦١.
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾ ٣١ لقمان: ١٠.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٠ غافر: ٦٤.
- ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَنْتَ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١ فصلت: ٩-١٢.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ٤٣ الزخرف: ١٠ و١١.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ ٥٠ ق: ٧.
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُوجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ الذاريات: ٤٨ و٤٩.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٧١ نوح: ١٩ و٢٠.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْفِينًاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ ٧٧ المرسلات: ٢٥-٢٧.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٧٨ النبأ: ٦ و٧.
- ﴿أَلَيْسَ أَشَدُّ خَلْفًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا. رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ نَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٧٩ النازعات: ٢٧-٣٣.
- ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا. وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٩١ الشمس: ١-٦.

- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَاتَقْنُ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾  
٢٧ النمل: ٨٨.

